

صناعة المعجم العربي الحديث - الواقع والتحديات-

Modern Arab Lexicography-Reality and Challenges-

د. علي يحيوي

مخبر اللسانيات التقابلية - جامعة الأغواط-

yahiaouiprof@yahoo.fr

تاريخ النشر	تاريخ القبول	تاريخ الإرسال
2020/12/01	2020/08/29	2020/07/08

ملخص البحث

تعدّ الصناعة المعجمية أو المعاجمية كغيرها من الصناعات من أصعب وأعسر المسالك اللغوية، إذ يجب على صاحبها أن يكون مُلمًا بجُملة من الموادّ اللغوية والمعارف التاريخية، بالإضافة إلى جملة من الصفّات التي يجب أن يتحلّى بها صانع المعجم كالصبر والتحملّ والجَلَد وغيره.

وقد تطوّرت صناعة المعجم عالميًا من حيث الترتيب واختيار المداخل، وكيفية عرض المادّة وصارت لها تقنيات وأسس محدّدة من حيث الشكل والموضوع، ومع ذلك فمازال مُعجمنا العربي مشدودًا إلى الماضي، ومازال معجميّونا حين يريدون وضع معجم حديث تشدّهم تجربة العرب المُوغلة في القدم، ممّا جعل المعجم العربي الحديث يمرّ بأزمةٍ كبيرةٍ، فهو غير قادرٍ على مُواكبة الحداثيّة، وأغلب المعاجم الموجودة اليوم لا تُلبي حاجة الأدباء والمُثقفين والنّاس عامّة، وبعيدة عن الاتجاهات الحديثة في صناعة المعجم ويُمكن وصفها بالمعاجم المهجورة أو المُهملة؛ لأنّ مدى نجاحها يتوقّف على مدى شيوعها واستعمالها. الكلمات المفتاحية: المعجم - الصناعة - الحديث- المعجمية - الواقع- التحديات.

Abstract

lexicography is considered one of the most difficult linguistic pathways ,as the lexicographer must be familiar with a set of linguistic subjects and historical knowledge .in addition to a set of traits that the lexicographer must possess as for patience,endurance,determination...etc.

Lexicography has evolved globally in terms of arrangement ,selection of entries and how to display the material.It has specific techniques and foundations in terms of form and subject matter.However,our Arabic Lexicon is still tight to the past ,and our Lexicons are still stick to the ancient experience of Arabs when they attempt to develop a modern Lexicon.What made the modern Arab dictionary going through a major crisis which is its unability to keep pace with modernity .So ,most of the dictionaries that exist today do not meet the need of writers, intellectuals and people in

general. They are away from modern trends in lexicography and can be described as abandoned or neglected dictionaries because the extent of its success goes back to its popularity and use.

Key words: lexicography - modern - lexical - reality - challenges.

مقدمة

انطلاقاً من قول أحمد مختار عمر: إنَّ علم اللغة التطبيقي أسبق في الوجود من علم اللغة النظري؛ فقد اعتبر اللغويون صناعة المعجم أسبق في الوجود من وضع نظرية له، وعدّوها المحركة لتفكير العلماء في وضع مواصفات قياسية له.¹

فالصناعة المعجمية تخطيط واستراتيجية، لأنَّ إنجاز معجم معيّن قد يستغرق سنوات من الاشتغال ويتطلّب أطقماً وفرقاً متخصصة ممّا يقتضي تحديداً دقيقاً للأهداف والنتائج المبتغاة وبرمجة وخطة للإنجاز، والنّظر إلى المعاجمية (الصناعة المعجمية) يجدّها حظيت باهتمام واسعٍ من لدن الدّارسين، وخاصة المحدثين وقد تولّد عن ذلك ظُهور بُحوثٍ متنوعةٍ تدرس كيفية ظهورها وتطوّرها، والمناهج المختلفة في التأليف المعجمي، وطُرق الجمع والوضع، وتبلورت ضمن اتّجاهات ومدارس خاصّة كلّ له خصوصياته المميّزة عن غيره، كما لا ننسى دور النّظرية اللسانية، وما أفرزته من نتائج في خدمة المعجم العربي، وعليه سنتناول في بحثنا هذا مفهوم المعاجمية أو الصناعة المعجمية مسلّطين الضوء على واقع المعجم العربي، وأهمّ التحديات والعراقيل التي تقف في تطوره منطلقين من إشكالية رئيسية :

ما مفهوم الصناعة المعجمية؟ وما هو واقع المعجم العربي الحديث ؟ ثمّ ما هي أهمّ التحديات والعراقيل التي تقف في صناعة معجم عربي بموصفات عالمية حديثة ؟
ويهدف البحث إلى مجموعة من النقاط أهمها :

- دراسة المعجمية العربية دراسة وصفية عند القدماء والمحدثين.
 - الوقوف بدقة عند مصطلحات المعجمية في ضوء علم اللغة الحديث.
 - معرفة مدى إسهام المعجميين في إثراء المعجم العربي قديماً وحديثاً.
- المبحث الأول : مفهوم المعجم لغة واصطلاحاً:

1-1- المعجم لغة: إنّ كلمة مُعْجَم في الكتب التراثية هي عبارة عن مصدر مأخوذ من مادة "عَجَمَ" وجذرّها [ع ج م]، وهي تفيد في اللغة الغُمُوض والإبهام؛ إذ نجدّها في لسان العرب: عَجَمَ والعَجَمُ، وخلافه عربيّ...، والعَجَمُ جمع أعْجَمَ الذي لا يُفصح... والأعْجَمَ الذي لا يُفصح ولا يُبين كلامه، ومؤنّثه عَجْمَاءُ، ورجلٌ عَجَبِيّ من جنس العَجَمِ، وأعْجَبِيّ وأعْجَمَ في لسانه عُجْمَةٌ.²

والواقع أننا لا نعلمُ بدقة متى أطلق لفظ "معجم" على هذا المفهوم، ويبدو أن رجال الحديث كانوا هم أول من استخدم لفظة "المعجم" وليس علماء اللغة، وقيل: إن الإمام البخاري هو أول من استعملها وكان ذلك في كتابه "الجامع الصحيح".³

2-1- المعجم اصطلاحاً:

سمي المعجم بهذا الاسم لاحتمالين اثنين: أحدهما يتعلق بإزالة الغموض الذي يكتنف المفردات، والآخر نتيجة ترتيبه على حروف المعجم، وإذا نظرنا في طبيعة هذين الاحتمالين سنجدُهما يتعلّقان بعنصرين أساسيين من عناصر المعاجمية (الصناعة المعجمية): فالأول يتعلق بالهدف أو الغاية التي وُضع من أجلها المعجم، وهو هنا يتمثل في شرح المعنى وإزالة الغموض وهذا الأمر ضروري في كلّ عملٍ معجميٍّ، إذ على المعجمي أن يجد هدفه أولاً قبل أن يشرع في صناعة معجمه.

والاحتمال الثاني فيتعلّق بترتيب حروف المعجم، الذي يُعدّ أحد المقوّمات الأساسية للصناعة المعجمية ودونه لا يكون المعجم معجمًا، بل سيبقى مجرد تكديسٍ للمفردات وجمعها فقط، وهذا ما نجده مُجسّداً أو مثبتاً في مختلف التعريفات التي قدّمت للمعجم والتي منها:

- أنه « ديوانٌ لمفردات اللغة مُرتّبٌ على حروف المعجم ».⁴

- أنه « مرجعٌ يشتمل على مفردات لغةٍ ما مرتبة عادةً ترتيباً هجائياً، مع تعريف كلّ منها وذكر معلوماتٍ عنها من صيغ، ونطق، واشتقاق، ومعانٍ، واستعلاماتٍ مختلفةٍ ومثال ذلك: "المعجم الوسيط" مجمع اللغة العربية بالقاهرة ».⁵

3-1- من المعجم إلى القاموس:

هناك نوعٌ من العلاقة بين مصطلح "معجم" ومصطلح "قاموس" على اعتبار أنه يوجد نوع من التداخل بين المصطلحين، وكثيراً ما يتم الخلط بينهما،.⁶

ولعلمائنا المحدثين رأيٌ في القضية كما يلي؛ فيرى أحمد مختار عمر أن لفظ معجم جاء بمعنى الكتاب الذي يجمع كلمات لغة ما ويشرحها ويوضّح معناها ويرتبها في شكل معيّن وتكون تسمية هذا النوع من الكتب معجماً إمّا لأنه مرتب على حروف المعجم الحروف الهجائية، وإمّا لأنه قد يزيل أيّ إبهام أو غموض منه،⁷ ومع تردّد اسم هذا المعجم على ألسنة الباحثين ظلّ بعضهم أنّه مرادف لكلمة مُعْجَمٌ، فاستعمله بهذا المعنى، وشاع هذا الاستعمال وصار لفظ القاموس يطلق على أيّ مُعْجَم، وظلّ هذا اللفظ محلّ خلافٍ بين العلماء حتّى أقرّ مجمع اللغة العربية هذا الاستخدام وذكره ضمن معاني كلمة قاموس في مُعْجَمه المُسمّى (بالمعجم الوسيط)، واعتبر إطلاق لفظ القاموس على أيّ مُعْجَم من قبيل المجاز، أو التوسّع في الاستخدام.⁸

ومن قول مختار عمر نستنتج:

- أن لفظة قاموس في تسمية الفيروز آبادي هي صفة للمعجم.

-لفظة قاموس مع كثرة ترددها على الألسنة بهذا المعنى استعملت من قبيل المجاز، أو التوسع في الاستخدام.

-أحمد مختار عمر لا يرى لفظة قاموس مرادفاً للفظه معجم. من خلال قوله: ظنّ بعضهم أنه مرادف لكلمة معجم.

أمّا القاسمي علي فيرى أنّ: كلمتي معجم وقاموس يُستخدمان بوصفهما لفظين مُترادفين وفي الوقت نفسه يغلبُ إطلاق معجم على المعاجم الأحادية اللغة ، ويغلب إطلاق اسم قاموس على المعاجم الثنائية اللغة، وذلك بتخصيص مُصطلح واحدٍ للمفهوم الواحد في الحقل العلمي الواحد بحيث لا يُعبّر المُصطلح الواحد عن أكثر من مفهوم واحد، ولا يُعبّر عن المفهوم الواحد بأكثر من مصطلح واحد، ولذلك يمكن استثمار هذا الترادف في التمييز بين مفهومين مُختلفين هما :

المفهوم الأول: مجموعُ المفردات المُفترض للغة ويقابله مصطلح معجم.

المفهوم الثاني: مجموعُ المفردات المختارة التي يضمّها كتاب مع معلومات لغوية أو معرفية عنها ويقابله مصطلح قاموس.⁹

في حين نجد عبد القادر الفاسي الفهري بدوره يدعو إلى التمييز بين المصطلحين، وبذلك يقول عن مصطلح القاموس إنه الصناعة التي تتوق إلى حصر المفردات ومعانيها¹⁰ ويقول عن مصطلح معجم فهو المخزون المفرداتي الذي يمثل جزءاً من قدرة المتكلم – المستمع اللغوي.¹¹

ويسير في هذا الاتجاه أيضاً الودغيري عبد العالي الذي يرى أنّ المعجم أوسعُ وأشملُ في مفهومه من القاموس، لأنّه يشمل كلّ ألفاظ لغةٍ مُعيّنة والقاموس مَهْمَا توسّع لا يحتوي إلّا على جزء منها ، فالعلاقة بينهما علاقةُ الكلّ بالجزء أو العامّ بالخاص.¹²

أمّا إبراهيم بن مُراد فيرى أنّ المعجم غيرُ القاموس ، ولكنّ القاموس امتدادٌ للمعجم لأنّ قوامهما هو الوحدات المعجمية ، ولكن التطبيق لا ينفصل عن النظري ولا يستغني عنه.¹³

المبحث الثاني:اهتمام العرب بالعمل المعجمي:

من الناحية التاريخية، يرى علي القاسمي أنّ المعجم العربي مرّ بمراحل متعدّدة حتى بلغ ما هو عليه الآن، ولم يطلق عليه اسم (معجم) في جميع تلك المراحل، فقد بدأت المعجمية العربيّة انطلاقاً من عناية المسلمين بالقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، وحِرْصهم على فهمها والوقوف على غريبتها،¹⁴ .

وفي المرحلة الثانية أخذ علماء اللغة يشدّون الرّحال إلى البادية مُشاهدة الأعراب وجمع المادّة المعجمية من مصادرها الأصلية، وتدوينها ثم تصنيفها تصنيفاً موضوعياً وإصدارها في رسائل صغيرة،¹⁵ ولم تحمل معاجم الموضوعات تلك كلمة (معجم) في عناوينها وإنّما (كتاب)، كما ذكرنا.

وتتسم المرحلة الثالثة بظهور المعاجم العامة المتكاملة وتوزع عادةً بـ (كتاب العين) للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 170هـ)، وكتاب (الجيم) لأبي عمرو الشيباني (206هـ)، و(جمهرة اللغة) لابن دريد (321هـ)... وفي هذه المرحلة وما تلاها من مراحل تطور المعجم العربي نجد أن المعجميين العرب يفضلون إطلاق اسم علم على معاجمهم مثل (المحيط والمحكم والعُباب والقاموس)؛ ولا نجد كلمة (معجم) في عناوين مثل هذه التصانيف إلا في أواخر (ق4هـ) في (المعجم في بقية الأشياء لأبي هلال العسكري (395هـ) وفي أواخر (ق5هـ) في (معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع) لأبي عبيد البكري (487هـ)، وكلاهما معجم مختص. وقد استمر هذا التقليد في إعطاء المؤلفين اسم علم لمعجمهم حتى النهضة العربية الحديثة.

1-2- الجهود المعجمية المبذولة في ق20م:

تطورت المعجمية في العصر الحديث، نتيجة الثورة اللسانية في عالم الدرس اللغوي، حيث يقول أحمد مختار عمر: «تطورت صناعة المعجم عالمياً من حيث الترتيب واختيار المداخل، وكيفية عرض المادة، وصارت لها تقنيات وأسس محدّدة من حيث الشكل والموضوع، ومع ذلك فما زال معجمنا العربي مشدوداً إلى الماضي، وما زال معجميوننا حين يريدون وضع معجم حديث تشدّهم تجربة العرب المُوغلة في القدم، ممّا يُبعدهم عن الاتجاهات الحديثة في صناعة المعجم»¹⁶.

وفيما يخص الاهتمام بالعمل المعجمي في العصر الحديث، فيرى أحمد مختار عمر أن المعجمية لم تأخذ حقّها من الاهتمام والتنظيم إلّا مع مطلع (ق18م)، حينما ظهر جدولان مستقلان صبّا في حقل المعاجم، أحدهما غربي والآخر عربي.

أمّا الجدول الغربي فقد شق طريقه حينما كتب Johnson و Bailey معاجمهما، ووضعاً الأسس التي ينبغي أن تُتبع في صناعة المعاجم¹⁷.

وأما العربي فقد مهّد له ابن الطيّب الفاسي ت1756م، في أعماله المعجمية المتعددة وبخاصة في عملية "شرح كفاية المتحفظ" و"إضاءة الراموس" مما أذكى الهمم، وأوجد نهضة معجمية عربية خلال (ق19م)، كان فرسان حلبتها الشدياق واليازجي والكرملی¹⁸.

وكان كتابه (صناعة المعجم الحديث) نقلاً للطرق الحديثة في المعجمية وصناعة المعجم فعن الاهتمام بالمعجم في العصر الحديث يتحدث أحمد مختار عمر عن زيادة الأعمال المعجمية تنظيراً وتأسيساً في (ق20م)، ذاكرةً أهمّ الجهود التي يمكن تلخيصها في¹⁹:

- الاعتماد على المادة الحيّة، ومجموعات الاقتباس ممّا أضاف إلى مادة المعاجم التقليدية التي تنتقل من معجم إلى معجم - مادة أخرى شقّت طريقها إلى الحياة خارج المعجم.

- ظهور معاجم المعاجم، أو الموسوعات المعجمية التي تقدّم قوائم ببلجيوجرافية للأعمال المعجمية مثل القائمة البيلجيوجرافية التي قدّمها Zgusta عام 1988م، تحت عنوان Lexicography Today، وتعطي عدداً

من اللغات الأوروبية.

- بناءً قواعد بيانات معجمية سواء عن طريق الجمع اليدوي، أو باستخدام الحواسيب؛ وقد أعطت هذه القواعد إمكانيات ضخمة للعمل المعجمي، وأُعتبرت نقلةً كبيرةً وثورة علمية دفعت العمل المعجمي إلى آفاق بعيدة لم تكن متاحة له من قبل.

- ظهور دوريات تهتم بالمعاجم والمعجمية مثل:

• Dictionaries، التي تصدرها الجمعية المعجمية لأمريكا الشمالية وقد بدأت في الظهور عام 1979م.

• The Bulletin of European Association for Lexicography، التي بدأت في الظهور عام 1984م.

• The International Journal of Lexicography، التي بدأت في الظهور عام 1988م.

• مجلة المعجمية التي تصدر في الصين.

- تأسيس مراكز بحثية معجمية في جامعات إكستروبرمنجهام وغيرها، وكذا تأسيس العديد من الجمعيات اللغوية والمعجمية مثل: الجمعية اللغوية الكندية 1954، وجمعية للمعجم في أمريكا الشمالية، وجمعية المعجمية في الهند، وجمعية المعجمية الصينية والاتحاد الأوروبي للمعجمية.

- عقد المؤتمرات والندوات وحلقات البحث في أمريكا ودول أوروبا بدءًا من أوائل الستينيات لمناقشة المشكلات المختلفة المتعلقة بصناعة المعاجم، وبالتالي ساهمت هذه الجهود في تطوير الصناعة المعجمية، وفي الرقي بالمعجم.

وفي كلامه عن علم اللغة الحديث يرى أحمد مختار عمر أنه لم يُسهم بشكل كبير في تطوير المعجم فقد "اعتبر علماء اللغة المعجم مؤخرًا - نظرًا لأنه لا يختص بمعالجة الجانب العملي للغة - فرعًا من فروع علم اللغة التطبيقي (...). ولأن علم اللغة التطبيقي أُسبِق في الوجود من علم اللغة النظري فقد اعتبر اللغويون صناعة المعجم أُسبِق في الوجود من وضع نظرية له، وعدوها المُحرّكة لتفكير العلماء في وضع مواصفات قياسية له" ²⁰.

كانت مساهمتهم في مجال المعجم قليلة مقارنة بالمجالات الأخرى كالأصوات والتركيب والدلالة.

أما عن الخطوات الإجرائية والتنفيذية التي تسبق ظهور المعجم فيجمعها أحمد مختار عمر في :

- نظرًا لارتفاع التكلفة المادية لتأليف معجم وإخراجه للجمهور، وبخاصة إذا كان يعتمد على فريق عمل، وعلى مادة مُحوسبة ضخمة فإن مؤسسات النشر الآن تحتاج إلى أربع عمليات إجرائية لا بُدَّ أن تسبق بدء العمل، وهي:

• وضع تصوّر مبدئي لشكل المعجم ومواصفاته طبقًا لنوع المستعمل.

• حساب التكلفة ودراسة الجدوى.

- التخطيط للعمل وجدولة المواعيد.
- إعداد فريق العمل بالمواصفات المطلوبة.
- وبعد هذا تبدأ الخطوة الثانية في إعداد المعجم وهي المتعلقة بجمع المادة، وتحديد المصادر التي سيعتمد عليها.
- ثم تأتي الخطوة الثالثة الخاصة باختيار الوحدات المعجمية أو وضع قوائم بالكلمات الرئيسية التي ستشكل مداخل المعجم.
- وتأتي بعد هذا الخطوة الرابعة، وهي تأليف المداخل، أو معالجة المادة من نواحيها المختلفة.
- وأخيراً لا يبقى على المعجمي إلا أن يُرتّب مداخله بطريقة من طرق الترتيب المعجمي.
- وهناك اتجاه عام في المعاجم الحديثة الآن هو أن تزيد فصلين منفصلين عن مادة المعجم يقع أولهما في صدر المعجم ويشكل ما يسمى بالتمهيد أو المقدمة، والآخر في نهاية المعجم ويشكل الملاحق والإضافات التي يشعر المعجمي بأهميتها لمستعمل المعجم.²¹

المبحث الثالث: مفهوم الصناعة المعجمية (المعاجمية):

1-3- مفهوم الصناعة المعجمية (المعاجمية):

"الصناعة المعجمية lexicography: يُصطلح عليها بعلم التصنيف المعجمي ويعني الكتابة في تاريخ التأليف المعجمي عند العرب، والأسس التي أقيمت عليها المعاجم العربية من حيث المناهج والوظائف، ويجب تصنيف المعاجم بتطبيق الأسس النظرية كما حدّدها بعضهم في خمسة عناصر؛ وهي العناصر التي يجب أن يستعين بها مؤلفو هذه المعاجم لأداء هذه الوسائل اللغوية التي يجب أن يستعين بها لأداء هذه الوظائف وتحقيق الغايات".²²

بمعنى أنّ الصّناعة المعجمية في مفهومها هي مجموعة من الأسس والوسائل والأدوات والمناهج التي تساعد مؤلفي المعاجم في إقامة مؤلفاتهم وتحقيق غاياتهم.

وعرّفها علي القاسمي بقوله أيضاً: «الصّناعة المعجمية تشمل على خطوات أساسية خمس هي: جمع المعلومات والحقائق، واختيار المداخل وترتيبها طبقاً لنظام معين وكتابة المواد ثم نشر النتائج النهائية»²³.

2-3- أسس الصّناعة المعجمية:

لقد لخص علماء العربية القدامى أسس المعاجمية (الصّناعة المعجمية) في مصطلح الوضع الذي ظهر أوّل مرّة مع ابن منظور في مُعجمه لسان العرب؛ حيث يُعتبر الوضع أحد العناصر الأساسية في الدراسات المعجمية العربية²⁴، ولكن استقر لدى المحدثين مجموعة من المبادئ والأسس التي تعدّ عماد المعاجمية، فهي استفراد تاريخي مستنبط من رحلة المُعجم كلّ مع شيء من الإضافات²⁵ لذلك يوضّح لنا أحمد مختار عمر

خطوات صناعة المعجم الحديث كما يلي:

- وضع تصوّر مبدئي لشكل المعجم.
- حساب التكلفة ودراسة الجدوى.
- التخطيط للعمل وجدولة المواعيد.
- معالجة المادة من نواحيها المختلفة.
- ترتيب المداخل وفقا لطريقة من طرق الترتيب المعجمي.
- وضع التمهيد أو المقدمة وهو بداية المعجم ثم يأتي في نهاية المعجم ²⁶.

3-3: الصناعة المعجمية عند القاسمي:

صناعة المعجم هي أحد فروع علم اللغة التطبيقي، وأطلق عليه القاسمي المعجمية العملية ²⁷ ويُعرفُ علي القاسمي الصّناعة المعجميّة بأنّها مجموعة من الأسس تشمل خطوات أساسية خمس هي: جمع المعلومات والحقائق، واختيار المداخل، وترتيبها طبقا لنظام مُعيّن وكتابة الموادّ ثم نشر النتائج النهائيّة ²⁸.

فالصناعة المعجمية تخطيط وإستراتيجية، لأنّ إنجاز معجم معيّن قد يستغرق سنوات من الاشتغال، ويتطلب أطقما وفرقا مُتخصّصة مما يقتضي تحديداً دقيقاً للأهداف والنتائج المتبتغة وبرمجة وخطة للإنجاز ²⁹.

ويرى علي القاسمي أنّه من الجليّ أنّ الصّناعة المعجمية تعتمدُ على علم المفردات ³⁰ ولكنّهما ليسا شيئاً واحداً، لأنّ علم المفردات أو الألفاظ يشير إلى دراسة المفردات ومعانيها في لغة واحدة أو في عددٍ من اللغات، ويهتم علم المفردات من حيث الأساسُ باشتقاق الألفاظ وأبنيها ودلالاتها المعنويّة والإعرابية، والتّعابير الاصطلاحية، والمترادفات، وتعدّد المعاني، أمّا الصناعة المعجمية فتعتمد على خطوات خمس سبق ذكرها ³¹.

وكان المعجميون يرون أنّ الصّناعة المعجمية ليست علماً، وإنّما هي فنٌّ لا يمكن أن يتقيّد بالطرائق الموضوعية التي يتّبعها علم اللغة الحديث، مثل الوظائف الصوتية، والصرفية، والنحوية، لأنّها مُعقّدة ودقيقة، وتتطلّب تعليلاً ذاتياً، وقرارات اعتباطية، واستنباطاتٍ حسّيّة ³².

المبحث الرابع: واقع الاهتمام بدراسة الصناعة المعجمية:

لقد ازداد اهتمامُ الغربيّين بالصّناعة المعجمية في العقود الأخيرة بشكلٍ كبيرٍ، فخلال العقود الأخيرة، ارتفعت الأصوات لتطالب بإدماج علم الدلالة في النظرية اللغوية، وهذا ما أعطى الصّناعة المعجمية دفعا جديداً، ويمكن تلخيصُ الاهتمام بالصّناعة المعجمية من خلال المحطّات التالية ³³:

1- ففي عام 1960م، عقدت جماعة من اللغويين والمُعجميين مؤتمرًا لهم في جامعة إنديانا لمناقشة المشكلات المختلفة المتعلقة بالصناعة المعجمية، وقد جمعت أبحاثهم التي ألقوها في المؤتمر ونُشرت في كتابٍ استقبله المعجميون باهتمام كبير.

2- أثار ظهور قاموس "ويبستر" الدولي الثالث لسنة 1961م عاصفة من النقد والتعليق اشترك فيها عددٌ كبيرٌ من اللغويين والمُعجميين والمربين والصّحفيين، وانقسم هؤلاء بين مؤيّد للاتحاد الوصفي الذي تبناه ذلك المُعجم، ومعارضٍ له ويشتمل الكتاب الذي ألفه "سلد" و"أبيت" بعنوان "المعجمات وذلك المعجم" على اثنين وستين مقالةً نقديةً ظهرت حول المعجم المذكور في الفترة الواقعة بين سنتي 1961 و1962.

3- في عام 1963م نشر "كاتس" و"فودور" نظريتهما في "علم الدلالة" وطالبا بأن تؤلّف المُعجمات على هدي مبادئ نظريتهما، كما توالى الاقتراحات الخاصة بطرائق البحث المعجمية الحديثة التي أطلقها علماء اللغة مشهورون من أمثال "جارلس فلمور" و"جيمس مكولي".

4- لقيت الصناعة المعجمية رواجًا واهتمامًا ليس من لدن اللغويين فحسب، بل من المؤسسات التربوية والجامعية وغيرها³⁴.

5- لم يكتف اللغويون بإلقاء الدّروس عن الصناعة المعجمية وكتابة المقالات، ونقد المعجمات للتعبير عن آرائهم والتبشير بالمبادئ اللغوية ذات الصلة فقط، بل تحمّلوا أحياناً مسؤولية تحرير المعجمات ليضربوا مثلاً عملياً للمُعجميين غير اللغويين ولعلّ خير مثال على ذلك؛ المعجم النرويجي الانجليزي الذي صنّفه اللغوي (هوكن) (Haugen) عام 1965م.

6- لمس العديد من اللغويين الحاجة إلى مركز معجمي رئيس حيث تخزن جميع المواد المعجمية في عقل الكتروني مركزي، ففي سنة 1967م، اقترح (ليمان) (Lehman) تأسيس بيت معجمي كبير بمثابة خطوة أولى نحو إنتاج معجم حديث ضخّم من طراز (قاموس القرن) أو (قاموس أكسفورد الإنجليزي)، كما دعا (جيمس سليد) إلى تشكيل (اللجنة المعجمية) في الجمعية اللغوية الحديثة.

7- في عام 1969م، قام رئيس الجمعية اللغوية الأمريكية آنذاك (أرجبولد أي هيل) بإلقاء خطابٍ هامٍّ وممّا ركز عليه في هذا الخطاب قوله: «... إنّ الموضوع الذي وقع عليه اختياري هو صناعة المعجمات... وأقوى سبب دفعني لاختيار هذا الموضوع هو كون الجمهور يرى في المعجمات أهمّ الكتب التي يمكن تدوينها عن اللغة». 8- وفي سنة 1970م، عُقد مؤتمرٌ حول الصناعة المعجمية في ولاية (أوهايو)، نوقشت فيه مشكلات هذه الصناعة واقتُرحت لها حلولاً مبنية على أساس البحث العلمي.

9- وفي 5 و7 حزيران عام 1972 عُقد مؤتمر دولي حول صناعة المعجمات الإنجليزية وحضره أشهر علماء اللغة على غرار (بولنجر)، و(كليسن)، و(هوكن)، و(هل)، و(جولز) و(ماكنتوش)³⁵.

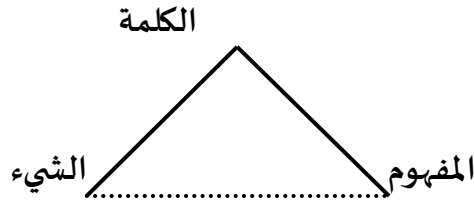
ومما سبق نستدلّ على تطور الصناعة المعجمية الحديثة، والتي نقلها القاسي إلى المعجم العربي.

ويرى القاسي أنّ صناعة معجمٍ جيّدٍ تتطلّب النظر في الأمور التالية:

- 1- تحديدُ هُويّةِ المستهلكين الذين يستهدفهم المعجم: وذلك لضبط نوع المعجم والغرض منه ³⁶.
- 2- اختيار مادّة المعجم: وهو ما يعرف بـ (الجمع)، ويرى القاسي وجوب الاعتماد على المكتوب والمنطوق في جمع مواد المعجم.
- 3- المقدّمة: فكلّ ما هو قياسي عام يذكر في مقدّمة المعجم، وما هو سماعي يوضع داخل مواده، فالقاسي يجسّد هنا مقولة بلومفيلد (المعجم ملحق للنحو أو قائمة من الاستثناءات)، ولا بدّ أن تكون وظيفية ³⁷.
- 4- أنواع مداخل المعجم: حيثُ تتضمّن المداخل أربعة أنواع من الوحدات المعجمية وحدة معجميّة مفردة، أو وحدة معجميّة مركّبة، أو وحدة معجميّة معقّدة، أو وحدة معجميّة متلازمة ³⁸.
- 5- الترتيب في المعجم: هو شيءٌ مهمٌّ ضروري وإلا فقد المعجم قيمته، ولعلّ الترتيب كان سبباً في موت معاجم وحياة أخرى؛ ويكون الترتيب في المعجم على نوعين رئيسين ³⁹: ترتيب المداخل: رؤوس المواد أو الألفاظ التي تطبع عادة بخط غامق، وترتيب المواد فيقصد بها الشروح والمعلومات المتعلقة بها فالقاسي اختار الترتيب الأبجائي للجذور لأنّه يؤدّي إلى جمع فوائدها والتخلص من عيوبها، وترتيب المواد اقترح القاسي اتباع النظام الآتي ⁴⁰:

- أ. ترتيب الأفعال قبل الأسماء، ويقدم الثلاثي على الرباعي، والمجرّد على المزيد، واللّازم على المتعدّي.
 - ب. المصادر تُذكر بعد الفصل مباشرة، وأن يُذكر منها مصادر الأفعال الثلاثية المجرّدة ويقدم القياسي على غيره، وتُغفل مصادر الثلاثي المزيد والرباعي المجرّد والمزيد لأنّها قياسية.
 - ج. الأسماء: تذكر مُرتبة ترتيباً ألفبائياً، أمّا الجُموع فيقتصر فيها على جُموع التكسير.
 - د. ترتيب المعاني: ويكون حسب الشيوخ، ثمّ المنطقي، ثمّ التاريخي.
- وفكرة الشيوخ استقاها الدكتور القاسي، من خلال اطلاعه على المعاجم الأوربيّة فقد ذكر أنّ هذا المبدأ اتبعته الأكاديمية الفرنسية في مُعجمها، وتبنّاه معجم (أكسفورد لمتعلّي اللغة والمتقدّمين فيها).
- 6- التعريف ⁴¹: وهو شرح المعنى، وبيان دلالة الكلمة ولا بدّ أن يكون واضحاً لا لبس فيه ولا غُموض وانطلق القاسي في قضيّة التعريف من مثلث ريتشاردز وأوجدن الذي يشتمل على ثلاثة عناصر:

- الكلمة: وهي من اختصاص اللّغوي وواضع المعجم
- الشّيء: وهو من اختصاص المنطقي والفيلسوف.
- المفهوم: الذي هو من ميدان الدرس المصطلحي.



وذكر علماء المعاجم بعض عُيوب التعريف مثل الحشو، والتعريف السطحي، وتعريف المجهول بالمجهول، وأضاف القاسمي⁴² : الوقوع في الدور والتسلسل، والإحالة المتكررة وعدم استعمال المميزات الدلالية لتقصي المعنى المطلوب من المشترك اللفظي.

ولذلك وضع علماء المعاجم شروطاً للتعريف الجيد تمثلت في: إحكام ضبط نطق الكلمة وذكر الشائع المشهور من المعاني من دون المهجور غير المعروف، وترتيب المعاني الأصلية قبل المعاني المجازية، وعدم استعمال كلمات لم يسبق شرحها في المعجم وعدم استعمال الشرح الدوري⁴³.

7- الشواهد في المعجم: وتكون تحت مبدأ (ما قلّ ودلّ)، وجعل (القاسمي) لها شروطاً:

أن يكون الاستعمال فصيحاً، وأن لا يكون قد ورد في شاهد يقيم.

8- المعلومات التي يقدمها المعجم: يضمّ المعجم معلومات صوتية وإملائية، ومعلومات صرفية ونحوية، وهنا يرى (القاسمي) أنّ المعجم الجيد ينبغي أن يقدم لمستعمليه معلومات نحوية وصرفية تُعينهم على تصريف الأفعال ونُطق مُشتقاتها بصورة صحيحة⁴⁴، ومعلومات دلالية، وأخرى عن الاستعمال مثل: شعري، عادي، واستعماله التاريخي، والموضوعي والجغرافي والأسلوبي، وقد تكون معلومات تأثيلية بالإشارة للمعرب والدخيل⁴⁵.

9- الوسائل المعينة في المعجم: كالأمثلة التوضيحية، والصور والرسوم.

10- الخصائص الفنية في المعجم: لخصها القاسمي في الشمول والوضوح والبساطة⁴⁶.

- المبحث الخامس: التحديات والعراقيل:

وهي العقبات التي تقف في طريق إنجاز معجم عربي بمواصفات عالمية ويضاهي المعاجم الغربية الحديثة، ولذلك يجب التخلص من السلبيات والمؤاخذات الموجهة للصناعة المعجمية العربية:

1- فيما يتعلّق بالمتن المعجمي ذكر عدم ترتيبها للموادّ ترتيباً داخلياً، ففيها خلطُ الأسماء والأفعال والثلاثي والرّباعي والمجرّد والمزيد، وكذلك وجودُ جزء من المعنى في أوّل المادة وما تبقى من المعنى في آخر الكتاب، وهذا يُصعّب عملية كشف المعنى كاملاً، وربّما يعود سبب ذلك إلى أنّ المعاجم كانت ما تزال في بدايتها ولم يَسْتَوِلْها المنهج.

2- ممّا يؤاخذ على طريقة الشّرح المعجمي شرحُ الكلمة شَرْحاً معيباً، كأنْ تُكون العبارة غامضة أو أنّ يعرف اللفظ الغامض بلفظٍ غامضٍ، وضرب مثالا لذلك قول الفارابي: "الصدغ" "الوعل بين الوعلين"؛ فالفارابي كان يخاطب من يفهم لغته ويدرك معناها، وممّا يتصل بعيوب الشّرح ذكر وقوع المعاجم العربيّة في

الخطأ شرحها المادة، وقد ألفت بعض الكتب الحديثة التي تهدف إلى تتبع الأخطاء التي تقع فيها المعاجم، وخير ما يمثل ذلك كتاب (الجاسوس على القاموس) لأحمد فارس الشدياق الذي عمد فيه إلى تتبع أخطاء الفيروز آبادي في مُعجمه (القاموس المحيط).

3- وفيما يتعلق بالمنهج فقد ذكر أحمد مختار أن بعض مؤلفي المعاجم لم يلتزم المنهج الذي اختطه لنفسه في مُعجمه ومثل لذلك المعجم الوسيط، فقد ذكره مؤلفوه أنهم لن يذكروا الألفاظ الحوشية الجافية، وعلى الرغم من ذلك فقد ورد ذكرها.

4- كذلك ذكر مأخذًا يتعلّق بزمان التدوين المعجمي؛ فبيّن أن المعاجم وقفت على فترة زمنية لم تتجاوزها، وهي (ق2هـ) بالنسبة لعرب الحواضر، و (ق4هـ) وبالنسبة لعرب البوادي، ممّا أصاب اللّغة بالجُمود وعدم تطوّرها وجعل المعاجم القديمة عاجزة عن التطوّر وأداء مهمّتها.

5- إضافة لما ذكره صعوبة النظام الذي اختطته هذه المعاجم، وربّما كان سعيهم وراء التفرد في إيجاد نظامٍ لكتّيبهم لم يسبقوا إليه ليعرفوا به الأمر الذي دفعهم إلى البحث عن أنظمة لم تُطرق بعد⁴⁷.

أمّا المعاجم الحديثة لأنّها تسير في جمع مادّتها على طريقة القدماء⁴⁸ أي بالالتكاء على المعاجم السابقة وهذا يُهمّل المادة الحيّة وماجدّ من لغةٍ في العصر الحديث. ومحدودية المادة المعروضة في المُعجم، كما ينقصها قدرٌ كبيرٌ من الدّقة والتمحيص في عرض المعلّومة⁴⁹. وإنّ إخراج مُعجم خالٍ من الأخطاء والنقص والوهن في المنهجية، لابدّ من تضافر جهود مجموعةٍ من المؤلّفين من ذوي التخصصات اللّغوية وغير اللّغوية، فقد زال عهدُ المعاجم الفرديّة وحلّ مكانه عصرُ المعاجم الجماعيّة.

كما نجد أنّ القاسمي قد حدّد بعض نقاط الضّعف التي تعترى المُعجم الحديث وتمثل تحدياً له نجملها في ما يلي:

1- انفصامُ هذا المُعجم عن واقعه،⁵⁰.

2- الاكتفاء بتسجيل معاني المفردات والخلط في ترتيبها،⁵¹.

3- لا تتضمّن هذه المعاجم المعلومات التي ينبغي توافرها فيها، كتأثيل الألفاظ وتغيّر دلالتها واستعمالاتها⁵².

كما يوجّه القاسمي النّقد للمعلومات الدّلالية في المعاجم العربيّة التراثية، بقوله :

-لا يضمّ المعجمُ جميع الألفاظ ومعانيها، وكان هذا الأمر من دوافع المُعجميّين الآخرين إلى تأليف معاجم جديدة تُحاول الكمال المستحيل.

-لا يتّبع ترتيبُ معاني المداخل نظاماً واحداً مطّرداً.

-عندما يُعرّف اللفظ بمُرادف، يكون المُرادف أحياناً أصعب من اللفظ المُراد تعريفه.⁵³

-خاتمة:

- لقد أنتجت الدراسات العربية التراثية كمًّا جمًّا من المعاجم تميّز بالتنوع وطُرق الترتيب المختلفة والمُحتوى الغزير، وفيما يخصّ الدراسات الغربية فقد وسّعت وطوّرت منهجية المعاجمية (الصّناعة المعجمية).
- استطاع مؤلفونا في ميدان المعاجمية أن يُثروا السّاحة العربية بمعاجم مُختلفة كمًّا وكيفًا بل وصلوا حتّى ابتكروا معاجم على غرار ما فعله أحمد مختار عمر والقاسمي علي ووَقّقوا إلى حدّ كبير في وضع نظرية معجميّة حديثة تُعالج قضايا المعجم العربي؛ وتُزاوج بين التراث واللّسانيات الحديثة نظريًا وتطبيقًا.
- مساهمة الجهود الجماعية في دفع وتيرة المعاجمية، من حيث السرعة والتخصص المطلوب كل ذلك أنتج معاجم جيدة كمًّا وكيفًا.
- باستطاعة المعجم العربي التغلّب على التحدّيات والوصول إلى مصاف المعاجم العالمية، بالعمل المشترك واعتماد التقانة الجديدة في عالم المعاجم الحاسوبية.

إحالات البحث

- 1 - أحمد مختار عمر، صناعة المعجم الحديث، دار عالم الكتب، القاهرة، 1998، ص 31.
- 2 - ينظر: ابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم ، لسان العرب، مادة "عجم"، دار صادر، بيروت، ج 10، ط 10، 2005، ص: 50-51.
- 3 - الجوهري ، الصحاح ، مقدمة، تح: أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين ، بيروت، ط. 1984، 4، ص: 39.
- 4 - مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط ، مطابع دار المعارف بمصر، القاهرة، ط: 2، 1973 ، ص: 615 .
- 5 - وهبة مجدي والمهندس كامل ، معجم المصطلحات في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، ناشرون، ط 2، 1984، ص: 284 .
- 6 - الصوري عباس ، الممارسة المعجمية، مجلة: اللسان العربي، ع 45، 1998، ص: 9-10.
- 7 - أحمد مختار عمر، المعاجم العربية في ضوء الدراسات المعجمية العربية عالم الكتب، القاهرة ، د- ط، 1998، ص: 17-18. وينظر: البحث اللغوي عند العرب، مع دراسة لقضية التأثير والتأثر، عالم الكتب ، القاهرة ، ط: 06، 1988، ص: 116.
- 8 - أحمد مختار عمر، صناعة المعجم الحديث، عالم الكتب، القاهرة، ط 1، 1998، ص: 24، وينظر: عدنان الخطيب ، المعجم العربي بين الماضي والحاضر ، مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت ، ط 02، 1994، ص: 48-50. والمعجم الوسيط : قمس.
- 9 - القاسمي علي ، الصناعة المعجمية بين النظرية والتطبيق، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت لبنان، ط 01، 2003، ص: 07، و ص: 192.
- 10 - القاسمي الفهري، تعريب اللغة وتعريب الثقافة، المجلة العربية للدراسات اللغوية، غشت 1985، ص: 73.
- 11 - المرجع نفسه، ص: 73.
- 12 - المرجع السابق ، ص: 130-131.
- 13 - ابن مراد إبراهيم ، المعجم العربي بين التنظير والتطبيق، سلسلة محاضرات التي يراها الكرسي (2009) يحررها رمزي بعلبي ، الجامعة الأمريكية ، بيروت، ص: 11، وينظر: مقدمة لنظرية المعجم: ص: 8-9
- 14 - الشرقاوي أحمد إقبال، معجم المعاجم، دار الغرب الإسلامي، ط 2، بيروت، لبنان، 1993، ص 07
- 15 - القاسمي علي، المعجمية العربية بين النظرية والتطبيق، مكتبة لبنان ناشرون، ط 1، بيروت - لبنان، 2003، ص: 8-9
- 16 - المصدر السابق، ص: 303.
- 17 - أحمد مختار عمر، صناعة المعجم الحديث، ص: 28.
- 18 - الودغيري عبد العالي، قضايا المعجم العربي في كتابات ابن الطيب الشرقي، منشورات عكاظ ، 1989، د- ط ، ص: 417.
- 19 - أحمد مختار عمر، صناعة المعجم الحديث، ص: 28-29-30.
- 20 - المرجع السابق، ص: 31.
- 21 - المرجع السابق، ص: 65.
- 22 - مرداوي عبد الكريم مجاهد ، مناهج التأليف المعجمي عند العرب معاجم المعاني والمفردات، دار الثقافة، مصر، ط 1-2010م، ص: 28.
- 23 - القاسمي علي، علم اللغة وصناعة المعجم، مطابع جامعة الملك سعود، الرياض، السعودية، ط 1، -1975م ص: 03
- 24 - ينظر : عبد القادر عبد الجليل، المدارس المعجمية دراسة في البنية التركيبية، دار الصفاء للنشر والتوزيع، عمان، ط 1 2010م، ص : 85.
- 25 - فهمي خالد، تراث المعاجم الفقهية دراسة لغوية في ضوء أصول صناعة المعجم والمعجمية، عالم الكتب، القاهرة د- ط- 2005، ص: 255.
- 26 - أحمد مختار عمر، صناعة المعجم الحديث، ص: 112.
- 27 - القاسمي علي، صناعة المعجم التاريخي للغة العربية، ص: 42.
- 28 - القاسمي علي، علم اللغة وصناعة المعجم، ص: 03.
- 29 - القاسمي علي ، صناعة المعجم التاريخي للغة العربية، ص: 167.
- 30 - القاسمي علي ، المعجمية العربية بين النظرية والتطبيق، ص: 20.
- 31 - القاسمي علي ، علم اللغة وصناعة المعجم، ص: 03.

- 32 - المصدر نفسه، ص: 03.
- 33 - ينظر: القاسمي علي ، علم اللغة وصناعة المعجم، ص: 12-15، وينظر: أحمد مختار عمر، صناعة المعجم الحديث، ص: 28-30.
- 34 - القاسمي علي ، علم اللغة وصناعة المعجم، ص: 13-14.
- 35 - المصدر السابق، ص: 14-15 (يتصرف).
- 36 - القاسمي علي ، صناعة المعجم التاريخي للغة العربية، ص: 42، وينظر: علي القاسمي، المعجمية العربية بين النظرية والتطبيق، ص: 73.
- 37 - القاسمي علي ، علم اللغة وصناعة المعجم، ص: 6.
- 38 - ابن مراد إبراهيم، المعجم العربي بين التنظير والتطبيق، ص: 5.
- 39 - القاسمي علي ، المعجمية العربية بين النظرية والتطبيق، ص: 117.
- 40 - القاسمي علي ، صناعة المعجم التاريخي للغة العربية، ص: 461-462، وينظر: المعجمية العربية بين التنظير والتطبيق، ص: 37.
- 41 - القاسمي علي ، المعجمية العربية بين النظرية والتطبيق، ص: 74.
- 42 - المصدر نفسه، ص: 635.
- 43 - حلمي خليل، مقدمة لدراسة التراث المعجمي العربي – دار المعرفة الجامعية للطبع، والنشر، والتوزيع، الإسكندرية، 2003م، ص: 24.
- 44 - القاسمي علي ، المعجمية العربية بين النظرية والتطبيق، ص: 274.
- 45 - القاسمي علي ، صناعة المعجم التاريخي للغة العربية، ص: 478.
- 46 - القاسمي علي ، المعجمية العربية بين النظرية والتطبيق، ص: 131-137.
- 47 - أحمد مختار عمر، محاضرات في علم اللغة الحديث، عالم الكتاب، ط01، 1995، ص: 59.
- 48 - المصدر نفسه، ص: 60.
- 49 - المصدر السابق، ص: 62.
- 50 - ينظر: القاسمي علي، صناعة المعجم التاريخي للغة العربية، ص: 333.
- 51 - ينظر: القاسمي علي ، صناعة المعجم التاريخي للغة العربية، ص: 334.
- 52 - ينظر: المصدر نفسه، ص: 91.
- 53 - القاسمي علي ، مقال خصائص المعجمية العربية التراثية ، مكتب تنسيق التعريب، مجلة اللسان العربي ، العدد 47

